سورة الحجر

obeikandl.com

﴿ سورة الحجر ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾

تمن باطل لكونه وقع منهم فى الدار الآخرة من بعد فوات الأوان.

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾

وهى صفة الأنعام، بل أن أنعام الآدميين أضل من الأنعام الحقيقيين.

﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾

أى المرض الحجابى.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾

مما يتخيل ومما لا يتخيل ،فخزائنه سبحانه فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهو سبحانه يخرج من تلك الخزائن بقدر يعلم منه صلاح المخرج إليه أو فساده، فيعطى ما تقتضيه الحاجة والحكمة.

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

الرياح هى كبار العارفين والتى تلقح أى تنفث الفيوضات

إلى الصغار، فالأرواح العاليات يفيض مددها على ما صغر من أرواح العارفين، فتنزل عليها من سحب همعها فترتوى منه الأرواح العطشى لكونها لا تختزنه.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

أى علمنا المستقدمين والمتقدمين فى حضرة الله الطائرين إليها ثم علمنا المتخلفين والمتأخرين عن الحضرة الإلهية.

ألم تعلم بأنى صيرفى أحك الأولياء على محكى
فمنهم بهرج لا خير فيه ومنهم من أجوزه بسبكى

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

هو طرد بسبب الكبر والاستعلاء، لكونها كانت حضرة اختبار وتمحيص، ومن شهد الحضرة من الملائكة لا نفوس لهم فيرونها، سوى إبليس اللعين فإنه رأى نفسه وميزها عن أهل الحضرة فناله ما ناله من المقت والطرد.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

هو من عليه وتفضل عليه من حضرة الله تعالى، إذ أنظره وأعطاه وقتاً آخر لأجل التوبة ومراجعة النفس، ولكن لعنة الله أصابته ونفذ سهم الجبار فيه.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

هى إساءة أدب منه فى مخاطبة خالقه حيث قال له ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾.

فإن الحق تعالى غير مغوٍ لأحد، ولكن طموح نفسه أرداه، وتكبره على منشئه أبعده وأقصاه، والحقيقة أن خبال الطينة وقذارتها هو سبب غوايته، فإن طينته ملعونة.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

هو استثناء لأهل الحفظ والعصمة من 9طبقات الأصفياء والمقربين ممن لم تكتب عليهم الذنوب، وهم خلاصة الله فى خلقه، ممن خرجوا عن دائرة المكر الإبليسية ــ لعنه الله أخبرنا العارف الكبير الشيخ صلاح الدين التجانى ﷺ قال: إن أبا يزيد ﷺ ممن لم يكتب عليه ذنب واحد.

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

هذه الصورة المثلى لأهل الجنة، وهى انتزاع الصفات الذميمة من جبلتهم حتى تنتظم لهم الجنة، والعارفون فى الدنيا لهم هذا المقام، لا يعرفون حقداً أصلاً ولا غلاً، وهذه أخلاق سيدنا محمد ﷺ، كان لاينتصر لنفسه أبداً، كما ورد فى الحديث سوى لله أو لحد من حدوده .

وقد ورد وصف هؤلاء فى قوله عليه السلام: ((**يدخل سبعون ألفاً من أمتى الجنة لا يكتوون ولا يرتقون وعلى ربهم يتوكلون**)) .

ولما سئل السيد الفاضل قطب وقته عبد القادر الجيلانى ﷺ: كيف وصلت؟

قال: ليس بكثير صلاة وقيام ولا بطويل صيام ولكن لا أبات وفى قلبى ذرة حقد على أحد.

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾

نبئ عبادى بالنيابة عنى بالمغفرة والرحمة العامة.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

هو من باب الاستثناء الهدائى فى حق الأكابر، كما استثنى والد إبراهيم وابن نوح عليهما السلام .

وهو مما لا دخل فيه لنبى أن يتكلم فيه مع رب العزة سبحانه، وإلا قيل له: فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين.

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾

رحم الله لوطاً قدم بناته فداءً لإرضاء الله تعالى، ولا زال هكذا فعل الأكابر مع ربهم يقدمون كل غال ونفيس لأجل إرضائه سبحانه وتعالى.

فعرض عليهم لوط تزويج بناته بدلاً من الفعل الشائن.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾

فى سكرة الحجاب وذل المعصية .

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

أى أصحاب الفراسة الذين يتوسمون الحقائق فى وجوه

أصحابها، فتنزل أنظارهم فى محلها.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾

أمره تعالى بالصفح الجميل ﷺ لكون بعث بين يدى الساعة، ولأن الكون ينتهى ويأفل ويضمحل، ومن أجل ضعف هياكل من هم بين يديه وتدنى جبلتهم، فأمره الحق تعالى بأن يتعطف عليهم ويرحم ضعفهم، وذلك لكون ﷺ ممن أوتى مقام النيابة عن الحق فى الاستغفار لأمته والصفح، وهذا لم يكن لأحد قبله فيما علمناه يقول تعالي: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.

ولم يكن فيما مضى أمة يذنب مذنبها فيقوم نبى فى مقام النيابة عنه وعن مجموع الأمة سواه ﷺ، وهو من أنوار المقام المحمود الذى وعده له ربه عز وجل، بل هو ﷺ الشافع فى الوجود بأسره والذى عجز عنه مجموع الأنبياء، وكل يأمر من بعده بالقيام به عنه حتى ينتهوا إلى حبر الأنبياء وعروس القيامة محمد الشفيع المشفع ﷺ، واعلم أيدك الله بروح منه أن الصفح أعلى من العفو، وهو لم يقال لنبى سواه ﷺ ، وهو خاص بمقام الألوهية، ولم تقله الحضرة سوى لمحمد ﷺ، وهو من باب التفريد له، وحقيقته أن الذى يصفح عن العباد هو الحق تعالى وحده ولا ليشاركه فى صفحه عن خلقه سواه وأما

الاستغفار فيجوز للمكرمين من خلق الله أن يستغفروا للعصاة. وهو طلب مغفرة الحق تعالى لهم واستطلابها من رب العزة سبحانه للمذنبين والعصاة من خلقه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾

وقد قسم سبحانه العطاء لمحمد ﷺ بأن جعل الفاتحة فى كفة والقرآن كله فى كفة، وهذا يدل على أنها أعظم سورة فى القرآن فى نظرى، وإلا لما جعلها الحق تعالى مفتتحاً لأعظم ركن من أركان الدين وهو الصلاة، ثم جعلها مفتتحاً للقرآن نفسه ومدخلاً إليه .

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴿٨٨﴾ ﴾

معاتبة حقيقتها لأمته ولكنها موجهة إليه ﷺ، فمقامه الشريف ﷺ منزه عن حقيقة هذه المعاتبة، وهى لا تجوز فى حقه بأى وجه ينكر، ولكنه ﷺ لما كان يحمل عن الأمة أعباءها ومعاتبة الحق تعالى لها وجه العتاب له، لأجل تعلقه الشريف ﷺ بأمته.

وهو مقام واسع خاص به ﷺ، فلأجلنا سها ﷺ فى الصلاة ولأجلنا سُحِرَ ﷺ، ولأجلنا ضُرِب ﷺ وشجت رأسه، ولأجلنا قام حتى تورمت قدماه ﷺ، ولأجلنا جاع ولم يشبع قط ﷺ، كل هذا لأجل الاقتداء به من قبل المجموع الكلى من أفراد أمته ﷺ، ولكونه مرآة الوجود وشعاعها الذى يحتسب عليه كل فعل يفعله وكل كلمة ينطق بها.

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

حتى تعلمهم الذل لله والخضوع له والانقهار له سبحانه وتعالى، فإنه لن يدخل حضرتنا إلا من ذل لنا وانقاد وانسحقت نفسه .

قال أبو يزيد ﷺ: طرقت جميع الأبواب، فكلما طرقت باباً رأيته مليئاً، حتى طرقت باب الذل فرأيته فارغاً، فنوديت فى سرى: أقبل أبا يزيد مرحباً بك فلا زمت ذلك .

وكان سيدى أحمد الرفاعى هو خير من طرق هذا الباب، وكان يسمى نفسه أحيمداً، وما تصدر مجلساً قط، وكان يربى أربعين ألف مريد وما حدثته نفسه فى يوم من الأيام بأنه شيخهم، وكان يقول: حشرت مع فرعون ونمروذ وهامان إن كنت ظننت أننى أفضل من أقل واحد منهم، ورأى كلباً أجرباً فى الطريق قد أهمله الناس، فأخذه وضمد جروحه وآواه إليه وأطعمه، حتى شفى من جراحه.

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

فاصدع بما أنتجته لك حقائق التجليات من أوامر التشريعات، التى تقوم بها أنت يا رحى الوجود، ولا يعمر الكون إلا بها ولا يستقيم إلا بسواها .

فكن قوياً بالصدع بما تؤمر به ــ والصدع هو التبليغ بشدة ــ وقد يكون فيه أذى للمُبَلّغ ومشقة وابتلاء، ذلك لكونه يتلقى ما هو جديد من رب العزة، وما لا يؤلف عند المُبَلَّغ لهم، ويريد أن يغرزه فى ذو اتهم بقوة التبليغ ، وفيه مشقة على

المبعوث المكلف بالرسالة من قبل الحق تعالى، ذلك لكونه رسول الله إلى خلقه، فقد يلاقى بالإنكار والتكذيب لأن ما جاء به غير مألوف إلا لمن وفقه الحق تعالى.

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

هى أحد درجات الكفاية المنتهية إلى الباب الختامى للعصمة الإلهية، فقد قيل له ﷺ :﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

ثم قيل له: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾.

ثم قيل له: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

هو ضيق فى حق الله لا فى حق نفسه ﷺ، فحاشاه ﷺ أن ينتصر لنفسه، وقد أضجره وضايقه أقوالهم الشركية فى حق ربه ومولاه سبحانه وتعالى.